

المؤتمر العالمي الثامن للوحدة الإسلامية

(110) - تعاليد:؟ وَاَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا
وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ
وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ
السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا
فَخُورًا؟ (1) حيث إن ظاهره هو النهي عن عبادة الأصنام، كما قال سبحانه:؟ ذَلِكَ وَمَنْ
يُعَظِّمُهُمْ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمْ
الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ
وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ؟ (2)، ولكن عند التدبير فيها يظهر أن النهي عن عبادة
الأوثان في الحقيقة يرجع إلى النهي عن عبادة غير الله سبحانه، كما قال في موضع آخر:
أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن سَلَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنْ زَّهَرَ
لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ؟ (3). وبتدبير أكثر يظهر أن الله لا فرق في النهي عن طاعة غيره
تعالى بين طاعة الإنسان نفسه أو غيره، فكما تكون طاعة غيره سبحانه من دون إذنه مذمومة
كذلك طاعة الإنسان لهوى نفسه كما قال سبحانه:؟ أَوَلَمْ يَأْتِ مَن آتَىٰ خَذَلًا لَّهِ هُ
هُوَ أَهْلٌ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلَ بِيهِ
وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مَن يَعْزِلُ اللَّهُ أَفَلَا
تَذَكَّرُونَ؟ (4). وبتحليل أعمق من هذا ينبغي أن الالتفات إلى غيره تعالى... بأي
وجه كان ينافي حقيقة العبادة والعبادة الحقّة كما يقول سبحانه:؟ وَلَا تَقْدُ ذَرَأًا زَا
لَجًا هَنَسًا كَثِيرًا مِّنَ الْجِنَّةِ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا
وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا
أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلَّ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ؟ (5). فهذه
مراتب أربع لعبادة غير الله سبحانه، بعضها من الشرك الجليّ وبعضها من الشرك الخفيّ أو
الأخفى، ولا منافاة بينها ولا تعارض، ويتحمّل الجميع قوله:؟... وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ
شَيْئًا...؟ (6). القاعدة الحادية عشرة: التمييز بين ظاهر اللفظ ومألوف الذهن: لا ريب أن
ظواهر الآيات حجّة كظاهر كلام كل متكلّم على ما جرى عليه قانون المحاورة عند عقلاء
البشر، لكن ها هنا نكتة يجب التنبيه عليها لئلا يشتهب علينا الأمر في حدّ الظاهر كما
اشتبه على جماعة من السطحيين، وهي أن المسميات المادية محكومة

1- سورة النساء: 36، 2- سورة الحج: 30، 3- سورة يس:

60. 4_ سورة الجاثية: 23. 5_ سورة الأعراف: 179. 6_ انظر: القرآن في الإسلام الفصل الأوّل،
البحث عن ظاهر القرآن وباطنه.